ل.م.د / س4

م 3

الديانة القرطاجية

الديانة القرطاجية ديانة وثنية تؤمن بتعدد الآلهة لذا نجد عندها عدد من الآلهة التي تختلف قيمتها الإلهية حسب مدينة و أخرى، و قد أمرتنا المصادر المكتوبة بأسماء عدد منها، غير أن أكثر التاريخين جنحوا في تسميتها إلى مقابلتها بأسماء آلهتهم الوطنية الإغريقية أو اللاتينية مما يسبب حرجا في معرفة أسمائها و أوصافها الحقيقية.

- **الآلهة القرطاجية**:

بعل حمون: جلت النقائش الذرية القرطاجية فيما قرأه التاريخيون أنه إلها الفلاحة و الخصوبة و الشامين شراء المدينة إذ ورد اسمه مقرونا برمز سنابل القمح، و تأتي صورة في الغالب على شكل رجل كثر اللحية جالس على العرش في وضع عصيب يرفع يده أحيانا المباركة المتعبدين، و قدور اسمه ابتداء من القرن الخامس ق.م مسبوقا باسم الإلهة قافية. و اختلف فلي أصل هذا آلهة في تلك الناحية، و رأى آخرون أنه يعني سيد مذبح النحور لأن "حمن" تعني المبخرة، أو مذبح النحور، و قد تعني الدعامات المقدسة التي اعتبرت إحدى السمات لمميزة لعبادته، و يرى آخرون أن لفظ "حمن" مرتبط بالجذر حمى يحمى، و قد وجدت نقي شتين ورد فيها لفظ "حمن" بمعنى حامينا، و قيل تعني بعل حمون ألاه المعبد.

تانيت: أحدى أكثر آلهة قرطبة شهرة، احتلت منذ القرن 65م أكثر النصوص الندرية، فرأى البعض في ذلك انعكاس للإصلاحات السياسية و الدينية الحاصلة آنذاك، و هو دليل تراجع مكانة حمون المرتبط بتراجع عائلة ماغون راعيها و الذي لم يجنبها الهزائم، على أنها بقيت دائما تسمى "وجه بعل" مما يعني نوعا من التبعية له، و كأنما أدخلت عزيز لعبادة بعل حمون، و أكثر المؤرخين أنها كانت معبودة في المشرق قبل دخولها المغرب. و هي من خلال النصوص التذرية مرتبطة بالإلهة عشرات الفينيقية، و مثلتها المصادر الإفريقية بالإلهة هبرا، و قد رمزوا إليها بمثلث أحيانا شبه محرف تعلوه هادئة يفصل بين الشكلين خط أفقي، و قد حملت صفة الإله الأم الساحرة على تواصل النسل.

ملقرت: كان أبرز آلهة صور، و يعني اسمه "ملك المدينة" أو "سيد المدينة" كان له معيد مخصص بقرطاجة و نواحي أخرى، و قد كثر استعمال اسمه بها حتى عد 1500 اسما له أشهرها"بدمل

قرت" أي بيد ملقرت... و هو أول الآلهة في الأوساط الشعبية لما تصف به من سمات الايجابية كالرعاية و الحماية و السلام، في حين كان بعل حمون و تانيت أول آلهة الديانة الرسمية. و تتشابه مجسرات و رسومه مع آله الإغريقي هيرقليس، و قد ماثل القدماء بيتها في كتابتهم.

عشترت: من المعبودات الشهيرة في الشرق و الغرب الفينيقي، و قد ربطت بممارسة البغاء المقدس، من الطقوس المميزة للحضارة الفينيقية، لذلك ماثلها القدماء **بالآلهة** فينوس اللاتينية، و قد سماتها كأنها الالهة محبة للحرب و الصيد خاص في المشرق الفينيقي.

أشمون: كان معبده أكبر المعابد القرطاجية، فكان إلها شعبيا انتشر اسمه بكثرة في أسامي جيين خاصة و أنه عندهم الإله الشافي، و قد مائل القدماء بينه و بين الإله اسكولابيوس" الإغريقي و اللاتيني إلهاه الطب و العلاج.

آلهة أخرى: كما كان للقرطاجيين عدد من الالهة الأخرى الأقل شهرة غامضة الأحوال منها حشرف و حورون. و سكن... و قد دلت بعض الالهة الأجنبية في تعدد الالهة القرطاجية، و منها الالهة المصرية إذ وجدت في أسماء كثيرة للقرطاجيين منها : بالسنت، و آس، و آصر، و حورس، و ابتاح.

و من الغرائب إدماج القرطاجيين للآلهة الإغريقية ديمتار" و "وري" ضمن آلهتها، و يرى ديدور الصقلي أن ذلك تم بسبب نهب القرطاجيين لمعبدي الإلهتين في سرقوسة الصقلية و تعرضهم بعدها أللوباء الفتاك، فاتجهوا تكفيرا لذنبهم إلى بناء معبدين لها بقرطاجة فدخلتا بذلك في الالهة القرطاجية أو مع ما في هذه الرواية من أسطورة فإنها تدل لي مدى التلاحق الحضاري بين الشعبين حيث كان للإغريق مكانة بقرطاجة لسمحت لهم هذه الأخيرة ببناء معابد لإلهتهم تحولت مع الوقت معبودات لعموم المدينة.

وصفوة القول أن الديانة القرطاجية وألهتها ظلت في جوهرها ديانة شرقية، تعكس تمسك البونيين بطقوس ورثوها عن أجدادهم، فكل الالهة القرطاجية تقريبا لها امتداد مشرقي فينيقي، وقد تجلت بكثرة في أسمائهم نحو: عبد شمون، عبد ملقرت، هملكار"خادم ملقرت"، أمة بعل، فيملك|" أخو الملك" خوتالات" أخت اللات"، هانبعل" الحاضي بعناية البعل"، هاسروبعل " الذي يعينه البعل"، إشمون حنو" أشمون يرعاه"، إشمون ناماس" الذي يقوده إشمون"... وقد مثلت هذه الالهة رموزا وانعكاسات وتجليات أخذ كل منها صفة من الصفات الإلهية المتعددة، ودلت المصادر على تشدد القرطاجيين وتدينهم القوي، وخشيتهم الصادقة لإلهتهم، وسعيهم الحثيث للتقرب منها، واسترضائها وبناء المعابد بها، والتزلق بالقرابين إليها، شكرا لها وطلبا لحمايتها ونصرتها، فضلا على حضورها الرسمي في كل

معاهداتها المبرمة.ومع هذا الفتح القرطاجيين على معبودات غيرهم فاقتبسوا منها آلهة وتسموا بأسمائها في أهم مميز ديني لحضارتها المغربية المولدة.

- **التوفات والقرابين البشرية**:

تعتبر التوفات فضاءات مقدسة تقدم فيها القرابين البشرية، والكلمة مستمدة من التوراة ذكر " تفت" موجود في وادي حنون قرب القدس كان يقدم فيه الأطفال كقرابين للآلهة " ملك". وقد كثرة هذه المعتبدات في الغرب الفينيقي دون شرقه، وهي فضاءات غير مسقوفة توضع فيها النذور وفق مستويات متضادة إجمالا، ومع وجود تداخل وتموجات داخل نفس ألمستو، أي أن أقدم المستويات توجد في الأسفل والأحدث في الأعلى.

وقد تغيرت محتويات التوفات القرطاجي عبر العصور، فهي تحتوي على ممرات مطورة بالأرض آو داخل مخابئ صغيرة وقد تحوي جرارا فخارية، وبها أخصاب وهي أكثر اللقي، التي تتحول إلى شكل مذابح تحمل زخارف. ووجد معها لقي مثل: حبات القلادات وتمائم وأسوار وأقنعة...الخ.

ودرجت الرواية التاريخية القديمة والحديثة على اعتبار التوفات مراكز لتقدم القرابين البشرية للآلهة، وحل على ذلك بعض النقائش نصاب ك: نصب الكاهن" الذي يحمل صورة كاهن يرفع يده اليمنى في وضع تعبدي فيما تحمل يده اليسرى المطوية طفلا ملفوفا سيقدم على ما يرجع كقربان. وقد أكدت هذه المصادر المكتوبة بالنسبة للفينيقيين القرطاجيين كالتوراة وكليتاركوس *clitarque* وفورفوريوس *porphyre* ، وديوردور الصقلي، وانتقدت هذه الروايات على أنها كلها تحمل تحاملا على القرطاجيين والفينيقيين.

ورد هذا الرأي المؤرخون العصريون واحتجوا لذلك بعدة أمور:

أحدها، أنه لم يشر أي نص نقاشي إلى اليوم إله مفردة" توفات". ثم إن العبارات الواردة في هذه النقائش محتملة كعبارة " ملك أدم"، التي تعني " قربان رجل" " أي أن الرجل قدم كقربان" كما قد تعني أن القربان قدم من قبل رجل.

ثم إن التحليلات ألقى البشرية لتلك النصب ك: " نصب الكاهن" أظهرت أن الجرار تحوي بقايا مواليد صغار وحيوانات خاصة والخرفان والمعز، لكن لا تقدر على معرفة سبب الوفاة، ورجع س.موسكاتي أن تكون للأطفال صغار توفوا قد دفنوا مع القربان، ويؤكد أخر هذا بالضعف الواضح لعدد قبور الأطفال في مقابر قرطاجة، ثم إغفال عدد من التارخيين القدماء لذكر هذا الأمر أمثال هيرودوت الذي زار صور وتكلم عن ديانة الفينيقيين وغيره كبولبيوس وتيتوس ليفيوس اللذين من عادتهما استثمار

كل شيء يطعن في القرطاجيين، في كل هذا يجعلنا نشك في صحة هذه الرواية ونرجع ما ذهب إليه المؤرخ موسكاتي.

- **الكهنة**:

لقد كانت المعابد القرطاجية ذات ثراء فاحش فيما يبدو، لثراء المدن شدة تمسك القرطاجيين بديانتهم وسعيهم لاجتلاب رضا الالهة ودفع سخطها بالقرابين المختلفة، ويبدو أنه قادم على هذه المعابد عدد كثير من رجال الدين أشرت إليهم شواهد القبور و النذور، كما أشارت إلى جانب هؤلاء وفرة عدد الكاهنات، كما يشير أحيانا إلى نوع المسؤولية الكهنوتية، ككهنة" بعل حمون"، أو كاهنات " رتينا"، وتذكر بعض مراتب التسلسل الديني كرئيس الكهنة والكاهن الأكبر مما يدل على ترتيب ديني كهنوتي محكم، يبدو أن العائلات الكبيرة قد استأثرت فيه بالمناصب المهمة وربما كانت موروثة إلى الأبناء، ومع هذا لا شيء يدل على أن جماعة الكهنة قد تشكلت طبقة مغلقة ضمن جهاز الدولة، وقد كان الكهنة يشاركون في الحياة اليومية للمدينة، غير أنه لم يذكر لهم أي امتياز في مجال العمل السياسي على أنهم كانوا ذوي ثروة فيما يبدو إذ شاركوا الالهة في نصيب من قرابينها فكانوا يأخذون من القرابين الحيوانية مثلا الصدر والفخذ الأيمن، مهل ساعدهم هذه الثروة في استثمارها في المجال التجاري أو حتى الزراعي هذا ما لا نملك له برهان وإن كان لا يبعد ذلك.

- **تصورات ما بعد الموت**:

لم يتضح عندنا عن القرطاجيين إيمانهم بحياة جسدية بعد الموت، وقد أظهرت اللقى الجنائزية وجود: الجرار، والقوارير ذوات العروتين، والأباريق، وآنية أخرى كانت تملأ بالأغذية والمشروبات، كل أنه يبدو أن المعتقد الديني في هذا قد تغير منذ القرن 5 ق.م، فقد لوحظ ندرة في مدفن المدافن، وظهور طريقة حرق الأموات بشكل مكلف، إذ أصبح الميت يحرق ثم يوارى الثرى، وتوضع بقاياه في علبة حجرية أو قارورة، أو يوضع في غرفة جنائزية جماعية لمجمل أفراد العائلة.

إن هذا التطور في ممارسة الشعائر الجنائزية يظهر تطورا في المعتقد الديني، وعملية الحرق هذه تبعد أي بذل للشعائر المادية للميت مما يعني بإقرار حياة روحية ترتقي على حياة الجسد، وهو كما يقول ديكيريه " دليل على نضوج ملحوظ عند البونيين". وجدت إشارات في القبور كالتزيينات التي تشير إلى رحلة الروح المقدسة باتجاه وطنها" صور أو صيد" ، حيث تأخذ الروح شطل الديك الذي يتجول إلى

روح الخلابة من أسرها من القبر متجهو نحو ملكوت الذي يرمز إليه بصورة مدينة تحميها حصون ذات أبراج " لقد كانت المدينة الإلهية تعني لأولئك التجار أخر مرفأ يمكن أن يرسوا فيه".